Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

محال ، بل وألف محال أن يكون رسول من رسل الله الأطهار مستعداً للدخول فى عقيدة الشرك ، وترك عقيدة التوحيد ومع هذا نرى قول شعيب عليه السلام – هنا – يفيد هذا المعنى ؟ فهل كان شعيب يقصد حقيقة ما يقول يا ترى ؟ كلا ، بل وألف كلا .

وإنما أراد شعيب عليه السلام إظهار كمال الله، ونفاذ مشيئته وإن تعلقت بمحظور من أقبح المحظورات، وهو الإشراك بالله الواحد القهار مع حسن التأدب مع الله، وتفويض الأمر إليه، فليست مشيئات خلقه وأقوالهم هى القاضية فى بت الأمور بل مشيئة الله وقوله: ﴿ وما تشاءون إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

فعلماء الحديث – إذن – أحكموا عملهم الظاهرى فى تحرى الصحة فيما ينسب إلى النبى الكريم، فهم من حيث الظاهر على يقين. أما الباطن فموكول علمه إلى الله، ولذلك قالوا فى بيان هذا « قد يكون فى الواقع ونفس الأمر على غير ما ظهر لنا » وقد قالوه على سبيل الاحتياط وشدة التحرى .

هذا قصدهم، لا أنهم أرادوا أن يهدموا بالشمال ما بنوه باليمين، كما يروِّج منكرو السنة، بهاليل العصر.

ثانيا : إن الحكم على السنة بالظنية، على الوجه الذى شرحناه اصطلاح خاص بعلماء الحديث كما تقدم، وهم فصيلة من فصائل علماء الأمة الثلاث، العاملة فى مجال التشريع والفقه . والفصيلتان الأخريان هما :

- علماء أصول الفقه، العاملون فى دراسة أدلة الأحكام الكلية، وهى : الكتاب – السنة – الإجماع – القياس، ثم الأدلة الأخرى المختلف فيها .
- الفقهاء، وهم العاملون فى مجال استنباط الأحكام العملية التفصيلية من أدلتها الكلية .